

نهاد قلعي.. فنان رائد أسس المسرح القومي والكوميديا السورية

مخرج وممثل استشرى مبكراً ما سيؤول إليه الوضع العربي صادحا «صح النوم»



وزع البسمات في كل بيت عربي

المخضرمة منى واصف التي قالت عنه "كنت أتابع أعماله المسرحية كلها وتحديداً آخر مسرحية له: غربة، التي يسكن بها في وجداننا، وكان لي الشرف أن عملت معه في فيلم: مقالب في المكسيك، وغيره من الأعمال". وتضيف "على المستوى الشخصي كان صديقاً لنا، كنا نسهر في بيته مع زوجي الفنان محمد شاهين. كان كريماً جداً يحب أن يعتني بالآخرين، شكّل مع الأستاذ دريد لحام ثنائياً فنياً نشر اللهجة السورية في كل الوطن العربي. نهاد قلعي أيقونة فنية كبيرة، جديرة بان نهنم بها أكثر وأن نعطيها حقها. ما قدّمه الفنان نهاد قلعي للفن السوري والعربي كبير وعظيم".

أما المخرج السوري أنور قوادري، نجل المنتج تحسين القوادري الذي أنتج له العديد من الأفلام، فقال لـ "العرب"، "الوجه الإنساني لحياته انعكس تماماً على فنّه. أعرّفه منذ الطفولة وشاركته العمل بصفة عامل كلاكيت أو ملاحظ سيناريو، كان يتعاطف مع العمال البسطاء الذين كان يشاركهم مجلسهم ومنازلهم ومشربهم، حيث يجب أن يكون جزءاً من حياتهم. وقد انعكس ذلك على الأعمال التي كتبها، فهو يأخذ الحوارات من مصدرها ليشكل بها شخصياتها".

ويضيف "هو فنان ابن بيئته، كما يتأقلم مع جميع اللهجات واللغات كالتشامية واللبنانية والمصرية وحتى التركية كما في فيلم: غرام في إسطنبول. يلبغ بالأبعاد السياسية في الدراما، كان متأثراً بالكتاب المصري الشهير بديع خيري، في التمثيل كان تلقائياً وبسيطاً، وكان يجد حريته أكثر في المسلسلات". وعن قلعي الإنسان يقول أنور قوادري "كان كريماً جداً يستدني حتى يهنم بضيوفه، وهذا ما دفع ثمنه عند مرضه. لم يهنم به الكثيرون.. ومهما فعلنا تجاهه فهو يستحق أكثر. كان يجد حريته أكثر في المسلسلات لكونه غير خاضع لشياك التذكار لذلك كان نجاحه فيها أكبر".

أما الكاتبة هناء أبواسعد التي أعدت عن الراحل كتاباً موجهاً للناشئة صدر عن الهيئة العامة للكتاب في سوريا في أوائل يناير الجاري، فقالت عنه "شرف كبير لي أن أكتب عن فنان عظيم مثل نهاد قلعي لما له من قيمة فنية كبرى، هو فنان زرع أيامنا بهجة وسعادة، تعرّفت من خلال الكتاب على تفاصيل جديدة عنه، وكذلك على جزء من أسرته اللطيفة. نهاد قلعي فنان مسرحي كبير أشرّف بان الحظ خدمني بلقطة طيبة منه، لكوني استخدمت ذات المكتب الذي كان له عندما كان مديراً للمسرح القومي في سوريا بحكم عملي في المكان ذاته".

العربي في تلك الفترة قبل تطور الإنتاج الدرامي في بداية تسعينات القرن الماضي وانتشاره. ويعد مسلسل "صح النوم" علامة فارقة في تاريخ الفن السوري عموماً ومسيرة حياة الفنان نهاد قلعي على وجه التحديد، لكونه الأشهر والأكمل فنياً وفكرياً.

وعن هذه التجربة، بيّن الفنان الراحل ياسين بقوش، في تصريح صحافي قديم "شرف لي نهاد قلعي ماذا يريد أن يقوله في العمل، وأنه يستشرف به ما هو أت. فشخص العمل يمثلون الواقع العربي تماماً، فشخصية حسني البورطان هي المواطن العربي العاقل والمظلوم، بينما شخصية غوار الطوشة الرجل اللعوب الذي يريد الوصول ولو على حساب الآخرين، ويأسيينو يمثل شخصية الساذج البسيط المغلوب على أمره، وصاحبة الفندق فلوم حيص بيص هي هدف الجميع التي تجري الصراعات حولها وتجري الأحداث في فندقها، الذي يمثل الوطن".

وفي هذا المسلسل أوجد نهاد قلعي، الذي هو كاتب النص، مجموعة من الشخصيات التي صارت شعبية وتراثية وتجدت في تاريخ الفن العربي كابولكيشة وفطوم حيص بيص وأبورياح وأبوكاسم وأبو عنتر وياسينو، وطبعاً حسني البورطان وغوار الطوشة، ويعتبر هذا العمل، الخطوة الأولى التي رسمت ملامح ما يسمى البيئة الشامية بأحداثه التي تجري في حارة "كل مين أيدو ألو" وهو الشكل الفني الذي تركز لاحقاً بعشرات الأعمال وصار شكلاً درامياً سورياً معروفاً.

لم يقف المرض حائلاً دون إبداع نهاد قلعي، فبعد احتجاجه القسري عن الظهور الفني لفترة زمنية طويلة، كتب للأطفال في مجلة "سامر" التي كانت تصدر من بيروت، مستخدماً فيها شخصيات حسني وياسينو وحقق فيها نجاحاً طيباً.

قالوا عنه

عن شخصية نهاد قلعي الفنية تحدثت "العرب" مع الفنانة السورية

هذه الشخصية يقول الفنان الراحل في إحدى حواراته الصحافية السابقة "كنت أقدم شخصية حسني وكان الاسم الأول فحسب. وفي أحد المشاهد وعلى الهواء أسأل عن الاسم الكامل، وفي ذات اللحظة ألمح عازفاً موسيقياً على آلة البورطان في خلفية المشهد، فما كان مني إلا أن قلت حسني البورطان، فأحب الناس الاسم واعتمده للشخصية".

علامة فارقة

في التلفزيون حقق الفنان الراحل نجاحات هائلة خرجت من نطاق المحلية لتشمل كل أرجاء الوطن العربي. فكانت مسلسلات "حمام الهنا" و"مقالب غوار" ومن ثم المسلسل الأشهر "صح النوم"، وهو من الأعمال التي كرس انتشار اللهجة السورية في كل أنحاء الوطن

في الإنتاج السينمائي في سوريا عام 1928 بفيلم "المتهم البريء" للمخرج أيوب بدري وإنتاج شركة "حرمون فيلم". وعبر ما يقارب الثلاثة عقود لم تنتج سوريا إلا سبعة أفلام روائية طويلة. حتى جاء عام 1964 لينجز فيلم "عقد اللولو" الذي كان بطله نهاد قلعي مع الفنان دريد لحام، وهو الفيلم الذي يعتبره النقاد نقطة انعطاف في تاريخ السينما السورية لكونه يشكل الانطلاقة الثانية والفعالة من حيث الكم الإنتاجي. وشاركت في الفيلم قاصات فنية عربية عملاقة منها فهد بلان وصباح، وعرض على امتداد عام كامل في كل من دمشق وبيروت.

واستمرت مسيرة الفنان نهاد قلعي مع السينما فقدم مع دريد لحام أربعة وعشرين فيلماً كان آخرها "عندما تغيب الزوجات" عام 1982 مع المخرج مروان عكاوي.

وفي أواسط عام 1960 افتتح التلفزيون رسمياً في كل من سوريا ومصر، أثناء قيام الجمهورية العربية المتحدة. وكان أول مدير له الإعلامي صباح قباني، شقيق الشاعر الشهير نزار قباني الذي كان يعرف الفنان نهاد قلعي وشاهد بعض عروضه، فاستقطبه ليقدّم أعمالاً تلفزيونية في بث مباشر من جبل قاسيون حيث مقر التلفزيون السوري، وعزفه وقتها على فنان شاب اسمه دريد لحام.

ومن هناك قدّموا معاً مجموعة من الأعمال كان من أهمها برنامج "الإجازة السعيدة" الذي تغير اسمه لاحقاً إلى "سهرة دمشق"، وفيه ظهرت الكثير من الشخصيات الفنية السورية البارزة على غرار أبو صياح لرفيق سبيعي، ومحمود جبر وسامية الجزائري وآخرين.

وفي هذا البرنامج ظهرت أيضاً شخصية حسني البورطان التي جسدها نهاد قلعي، وعن كيفية ظهور

يرى جمع من أهل النقد الفني في سوريا أن تاريخ الحركة الفنية في البلد ينقسم إلى مرحلتين، ما قبل الفنان نهاد قلعي وما بعده. فقد أسهم بدور كبير في تأسيس الحركة الفنية السورية. ففي عهد الوحدة السياسية بين مصر وسوريا (الجمهورية العربية المتحدة) تم النظر إلى وزارة الثقافة ودورها في المجتمع بشكل مؤسسياتي فعّال، وكان من نتائج ذلك وجود مؤسسات ثقافية حكومية في كلا الإقليمين، الشمالي سوريا والجنوبي مصر، فوجدت فيها مؤسسة مسرحية "المسرح القومي"، وقد وقف وراء تأسيسه الفنان نهاد قلعي وكان أول مدير لهذا المسرح البارز القائم إلى اليوم.

ثم مسرحية "زنوبيا". وبعد أن حققوا نجاحاً لافتاً في دمشق عرض النادي مسرحياته في القاهرة، منها "لولا النساء" تأليف سامي جاسو، ومن ثم مسرحية "ثمن الحرية" للكاتب عمانويل روبلس، وحققت العروض نجاحاً كبيراً بالقاهرة.

الولع بالمسرح

في عام 1960 نضجت فكرة أن يتأسس مسرح حكومي في سوريا تابع لوزارة الثقافة، وعهد بالأمر للفنان نهاد قلعي الذي كان أول مدير له. وانطلق المسرح الحكومي تحت اسم "المديرية العامة للمسارح والموسيقى" وبدأ في غرفة صغيرة بوزارة الثقافة في دمشق، ثم انتقل إلى قبو في منطقة العفيف القريبة من حي المهاجرين، حيث يسكن الفنان نهاد قلعي ثم تخصص بمكانه الحالي في ساحة النجمة بقلب مدينة دمشق.

في هذه المرحلة واجه الفنان السوري الراحل عاصفة من التحدي والصراع الفني مع بعض أقطاب المسرح من السوريين، خاصة المسرحي الشهير رفيق الصبان الذي كان عانداً لتوه من الدراسة الأكاديمية في أوروبا، والذي كان تواقفاً إلى تقديم عروض مسرحية طليعية تعتمد على النصوص العالمية أمثال شكسبير وتشخوف وغيرهما. لكن نظرة قلعي كانت مختلفة بحيث أراد أن يقدم مسرحاً شعبياً قريباً من الناس يمكنهم من التفاعل معه بشكل أفضل، فأوجد الخطين في العمل، احتفى النقد المسرحي أكثر بعروض المسرح الأكاديمي الذي سمي بالمسرح الجاد لاحقاً، بينما كان الجمهور الأكبر حليف المسرح الشعبي كما سمّاه النقاد لفترة طويلة، وهو الصراع الفني الذي لا يزال موجوداً حتى الآن.

استقطب الفنان نهاد قلعي عندما أصبح مديراً للمسرح القومي قامت فنية كبيرة، نذكر خاصة الفنان عبداللطيف فتحي، كما حرص على أن يكون لديه مسرح خاص، وهو الأمر الذي تحقق بوجود مسرح في قلب مدينة دمشق، صغير لكنه يفى بالغرض وقد سمي باسم رائد المسرح السوري الأول أبوخليل القباني.

لم يكتف نهاد قلعي بتقديم وإدارة العروض المسرحية بل كتب للمسرح أيضاً. فعندما أوجد الفنان عمر حجو فكرة "مسرح الشوك" كان الراحل من المساهمين الأساسيين فيه، حيث كان يكتب ويمثل. وهو المسرح الذي يشبه ما يسمى بـ"الكباريه السياسي" الذي يقدم لوحات نقدية ساخرة وناقدة لأفكار وقيم اجتماعية وسياسية بالية.

وظهر من خلال هذا المسرح خط مسرحي متميز تشكل في العديد من عكاوي.

وفي هذا البرنامج ظهرت أيضاً شخصية حسني البورطان التي جسدها نهاد قلعي، وعن كيفية ظهور

الفرق المسرحية، منها فرقة "دبابيس" للأخوين قنوع وفرقة "الفنانين المتحدين" وفرقة هدى شعراوي وفرقة محمود جبر وفرقة ناجي جبر وغيرهم. ويعد غياب عن العمل المسرحي نتيجة ظروفه الصحية التي بدأت في التدهور، وهو في أوج عطائه، إذ لم يتجاوز، حينها، الثامنة والأربعين من عمره. عاد في عام 1974 ليشارك مع دريد لحام فرقة "تشرين المسرحية" التي قدّمت معه مسرحيتين شهيرتين، هما "ضبعة تشرين" و"غربة" للشاعر الشهير محمد الماغوط، وللتان يعتبرهما النقاد أهم مسرحيتين ساخرتين في تاريخ المسرح السوري.



نهاد قلعي - لم يكن أحمد نهاد الخربوطي القلعي، وهو الاسم الكامل للفنان السوري الراحل نهاد قلعي بعيداً عن الجو المسرحي في سوريا، وهو الذي نشأ في بيئة تحب الفن، وكان خاله، توفيق العطري، فناناً مسرحياً معروفاً.

في حوار إذاعي قديم أجري مع الفنان نهاد قلعي أكد أنه أحب الفن منذ صغره، وحاول جاهداً أن يدرس الفن في مصر، فرائسل السفارة المصرية في دمشق لكي يلتحق بالمعهد المسرحي في القاهرة، لكن جواب السفارة تأخر، ولما حضر الفنان المصري الشهير زكي طليمات مدير المعهد إلى دمشق، وشاهد عرضاً له، وعرف ميتهاه، اتصل هاتفياً بالسفارة وطلب من القائميين عليها أن يقبلوا طلبه للدراسة في مصر.

وبالفعل، حضرت الأوراق خلال ساعات، ونتيجة للظرف المالي الصعب الذي كانت تعيشه أسرة قلعي، اضطرت العائلة إلى بيع جزء من أثاث البيت حتى يسافر ابنها إلى القاهرة. ومن ثمة يأخذ الشاب المال ويتجه إلى سوق الحديدية لكي يحوّه إلى الجنينة المصري، ويدفعه إلى السفارة، لكنه يكتشف عند باب السفارة أن المبلغ قد ضاع. يبكي بحرقة ويعود خائباً إلى بيته بعد ضياع الفرصة.

منى واصف: نهاد قلعي شكّل مع دريد لحام ثنائياً فنياً نشر اللهجة السورية في كل الوطن العربي



لكن دابه لا يمنعه من تكرار المحاولة مجدداً من خلال المتابعة في العمل داخل سوريا. فانتسب إلى نادي الفنون الجميلة في مرحلة الشباب الأولى، ثم انتسب عام 1946 إلى نادي أستوديو البيروق الذي أسسه الفنان شفيق المنفلوطي.

وفي عام 1954 أسس مع بعض زملائه في الوسط الفني، من بينهم سامي جاسو وعادل خياطة وعدنان عجولوني وآخرون النادي الشرقي، والذي قدّم له أول عرض مسرحي بعنوان "الأستاذ كيلنوف"



اكتشف دريد لحام وقدم معه أربعة وعشرين فيلماً